الفصل الثانى
حملات التغريب الحاقدة وتدهور اللغة العربية

بدأت الحملة على اللغة العربية فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى تقريباً ، وامتدت على أيدى كُتّاب ومفكرين أجانب ، ثم حمل لواءها كُتّاب من بلادنا . يذكر الأستاذ أنور الجندى[1] من الكُتّاب والمفكرين الأجانب مستر / ولكوس ، حينما ألقى خطابه عام ١٨٩٢ م فى نادى الأزبكية بالقاهرة جعل عنوانه « لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن ؟ » وأجاب عن هذا السؤال بأن السر فى تأخرهم هو « اللغة العربية » ، وأن المصريين لو اتخذوا لهم لغة « إقليمية » كما فعلت بريطانياً مثلاً (مع اللغة اللاتينية التى أُودعت المتاحف الآن) لاستطاعوا أن يتفوقوا ويخترعوا . وتابعه فى القاهرة القاضى الإنجليزى / ويلمور عام ١٩٠١ م بجملة أخرى دعا فيها إلى ما سماه « لغة القاهرة » ، واقترح كتابتها بالحروف اللاتينية ، وهذا مستوى فى نظره لإصلاح العربية ، أما المستوى الآخر الذى يراه فهو استعمال اللغة العامية بدلاً من اللغة الفصحى .

وفى الخمسينات من القرن العشرين الميلادى الحالى كان عبد العزيز فهمى – زعيم الأحرار الدستوريين – فى مصر من أشد الناس حماسةً فى دعوته إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، ولقد قدم فى دعوته هذه مشروعاً خطيراً ما لبث أن قوبل بالسخط والنكير من جميع حماة اللغة العربية والذائدين عنها ، لكن دعوته هذه وجدت صدى كبيراً فى كل من تركيا وأندونيسيا والصومال ، ونجحت فعلاً حيث تم استبدال الحروف العربية باللاتينية فى هذه البلاد[2] .

هناك من الأجانب أيضاً الذين حاربوا العربية فى عقر دارها المستشرق / فاسينيون الذى دعى عام ١٩٢٩ م إلى الكتابة بالحروف اللاتينية وامتدت حملته جغرافياً حتى تعدت بلاد المغرب العربى إلى سوريا والبلاد العربية الأخرى التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسى . ثم تابعه فى الحملة المستشرق / م . كولان الذى كان يدعو إلى العامية بدلاً من العربية فى بلاد المغرب العربى[3] .

---

(١) الجندى (أنور) : مراجع سابقة .
(٢) الجندى (أنور) : مراجع سابقة .
(٣) الجندى (أنور) : مراجع سابقة .

ولقد ترك هؤلاء الأجانب ذيولاً من أبناء العرب ، ينهجون نهجهم فى الحملة الحاقدة على اللغة العربية والنيْل من قُدْرتها والتقليل من قَدْرها ، وكان من هؤلاء فى أواسط القرن العشرين الميلادى سلامة موسى ، إضافة إلى عبد العزيز فهمى ، فى مصر ، وكذلك الخورى مارون غصن فى سوريا ، وغيرهم كثير ، وقد كانوا يدعون إلى استخدام العامية فى التعبير نطقاً وكتابةً والاستعانة بالحروف اللاتينية . وفى مصر أيضاً أحد الدعاة إلى هجر اللغة العربية وتشويه جمالها ، إنه أحمد لطفى السيد الذى لقبوه بألقاب « أستاذ الجيل » ، « مربى الجيل » ، « شيخ الفلاسفة » ، و « رائد الفكر » ، وهو فى الحقيقة أحد الهدّامين للغة الضاد الشامخة ، وأطلق على دعوته المشئومة اسم « عقد الصلح بين العامية والفصحى » ، ذكر ذلك العلّامة محمود محمد شاكر . وأحمد لطفى السيد هذا هو ذاته الذى تولى الدعوة إلى الإقليمية باسم « مصر للمصريين » ، معارضاً بذلك مبدأ مصطفى كامل زمن الاحتلال الإنجليزى لمصر ، أى أنه كان يدعو إلى « الفرعونية » . يقول العلّامة محمود شاكر : ... ثم تولى هذه الدعوة الخبيثة وسابقتها من بَعْدُ « التآلف : سلامة موسى » ، ثم « النسخة المنقَّحة عنه لويس عوض » ، ثم « ذيل لويس وحامل حقيبته غالى شكرى » ...

ويبدو أن بعض الناس قد توسع فى استعمال اللهجات العامية ، فأخذ يكتب معبِّراً عن نفسه شعراً ونثراً معتقداً أنه لا يستطيع أن يوصِّل ما فى نفسه لغيره إلّا بهذه اللهجة أو تلك .. مما جعل بعض الصحف تفرد صفحات لهذا اللون من التعبير والتفكير .

فأنت ترى من هذا أن مقاطعة اللهجة العامية مقاطعة تامة لا تخلو من صعوبة ، ومع هذا فإنه لا يجوز لنا أن نترك هذه اللهجات فى نمو مطرد ، لأن فى ذلك خطراً على لغة القرآن ، كما أن فى تعزيز اللهجة العامية أقوى وسيلة لتفتيت كيان هذه الأمة[1] . وقد أدرك أعداء الأمة العربية هذا الأمر فبادروا إلى الدعوة لاصطناع اللهجة العامية معتمدين على ما ذكرناه من امتزاجها بالحياة اليومية . وقد تنبَّه كثير من علمائنا ومفكرينا القدامى إلى خطورة هذا الأمر مما جعلهم يؤلفون الكتب موضحين ما ينشأ من أضرار حين نهمل قواعد لغة القرآن ، من هؤلاء مثلاً أبو الحسن على بن حمزة الكسائى (ت ١٨٩ هـ) فى كتابه « ما تلحن فيه العامة » ، أبو عبيدة (ت ٢٠٩ هـ) فى كتابه « لحن العامة » وغيرها كثير .

---

(١) البصير (عبد الرازق) : حول مشكلة العامية . العربى (٣٧٠) ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .

أسهمت جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية مساهمة فعالة فى معالجة هذه القضية ، وذلك بتمويل الدراسة التى قام بها الدكتور مرزوق بن ضيتان بن تنباك . يقول الأستاذ عبد الرازق البصير[1] : إن صاحب هذه الدراسة يحمل ثقافة عربية إسلامية عميقة ، مكّنته من إدراك ما يقوم به أنصار اللغة العامية من عمل خطير على لغة القرآن ، وقد سلك فى الدفاع عن اللغة الفصحى طريقاً علمياً ، فهو يعتمد على ذكر حجج الذين يسعون لتقوية اللغة العامية والفكر العامى ، يورد هذه الحجج بنصوصها ، ثم يفندها تفنيداً محكماً معتمداً فى ذلك على الأدلة القاطعة ..

ويعتبر الفصل الذى عقده المؤلف لمناقشة الندوة التى ألقيت فى (مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربى) ومقره فى قطر ، أهم فصول هذه الدراسة . فقد ناقش المؤلف بكل جرأة وصراحة ما قيل فى تلك الندوة التى أقيمت فى الدوحة فى الفترة من ١١ إلى ١٤٠٥/٢/١٥ هـ (٤ـ١٩٨٤/١١/٨ م) .. ويتلخص ما طرح فيها فى أن العامية هى منبع أصالة الأمة العربية ، وأن الجذور الثقافية للأمة العربية كامنة فى التراث العامى ..!!

إننا نرى الذين يدعون إلى إحياء التراث الشعبى ما هم إلا وجه جديد من وجوه دعاة العامية ، وما الندوات والمهرجانات وغيرها مما يفسح لما يسمى « الفلكلور » المساحات الإعلامية والإنفاق المادى ما تحرم منه الثقافة الحقة ، إلّا محاولات لإحياء التراث العامى وإعلاء قدره وغمط ما هو مسطور بالفصحى ، وتنفير الناس منه حتى ولو تكرّم بعض المسئولين عن أجهزة الإعلام وقدم عملاً أو أعمالاً بالعربية الفصحى ، فإنهم ـ إلّا نادراً ـ يتخيرون الموضوعات غير الجذابة ويعرضونها بطريقة إخراجية سئيمة تجبر المشاهدين أو السامعين على إغلاق الإذاعة (مسموعة أو مرئية) بعدما يغلبهم النعاس ، أو يديرون مفتاح القنوات إلى قناة إذاعية أخرى !! هل هذا مخطط مرسوم للغة العربية لغة الضاد لغة القرآن الكريم ؟! هل هذا قصور من القائمين على أمر هذه الأجهزة وغيرها ، قصور فى تكوينهم الفكرى ؟! إننا لن نترك للقلم العنان حتى يترسل فى هذه الجزئية خشية الإطالة وحتى لا نخرج عن الإطار العام الذى وضعناه للكتاب الحالى .

ومن ناحية أخرى ، فإن صاحب (العربية لغة العلوم والتقنية)[2] يوضح أن محنة

(١) البصير (عبد الرازق) : نفس المرجع .

(٢) شاهين (د / عبد الصبور) : مرجع سابق .

العربية لا تتمثل فى حشود الألفاظ والمصطلحات الوافدة من عالم الحضارة ، إلى عالمها الذى يبدو متخلفاً ، ليس ذلك فحسب ، بل إن محنتها الحقيقية هى فى انهزام أبنائها نفسياً أمام الزحف اللغوى الداهم ، واستسلامهم فى مجال العلوم للغات الأجنبية ، بحيث قد تكوَّنت فى العالم العربى جبهة عنيدة تجاهد للإبقاء على العربية بمعزل عن مجال العلوم والتكنولوجيا ، قناعةً بعلاقة هشة مع لغة الحضارة ، فما دامت صفوة المشتغلين بالعلوم تعرف الإنجليزية فلا بأس من عزْل العربية ، بل وقتلها !!

ويقول حمد الكبيسى [1] فى مقدمة معجم النبات والميكروبيولوجيا بالكويت : ... وإذا صادفنا اليوم من المعاصرين من يجد فى نفسه شيئاً من استعمال لغتنا فى الفنون أو مشكلاً فى استخدامها فى العلوم ، فإن ذلك ليس راجعاً إلى قصور فيها أو عجز منها ، إنما هو راجع إلى ذاته ومنهج تعليمه وطريقة تحصيله ، لأنه شرد عنها وابتعد عن مساربها ومسالكها ، إلى متاهات العجمة والرطانة ، فحينما قُهر على تلك الرطانة أذعن ولم يتمرد ، وحينما أُلْجِئَ إلى تلك العجمة استسلم ولم يقاوم ، وحينما وجد فى نفسه ضعفاً عن الإحاطة بأسرار لغته ، واستيعاب جمال عبارته ، تقاعس وتخاذل واستسهل التيه والضياع .

كما يقول الدكتور يوسف عز الدين [2] : وقف بعض أبناء العرب الذين ضاعت شخصياتهم واهتزَّ فكرهم وماتت روحهم القومية ، ضد التعريب زاعمين بأن اللغة العربية تضيق عن استيعاب المصطلحات الغربية الجديدة التى وُضعت فى العلوم والفنون الحديثة للاختراعات والمكتشفات والنظريات الفكرية التى تتزايد كل يوم ، لأنهم لم يطلعوا على مسيرة اللغة العربية ولم يدرسوا مصطلحاتها التى وسعت فى الماضى كل المصطلحات والآراء والنظريات التى عاصرتها ووصفت أدق الأمور وأصغر الأشياء فى الطب والهندسة والفلسفة والفلك ... الخ .

يذكر الأستاذ عبد الرازق البصير [3] أنه حضر إحدى جلسات مجمع اللغة العربية

---

(١) الكبيسى (أحمد عبيد) : دور التراث العربى فى تعريب التعليم الجامعى . دراسات عربية وإسلامية ، القاهرة ، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م .

(٢) عز الدين (د / يوسف) : تراثنا والمعاصرة . دار الإبداع الحديث للنشر . بدون رقم الطبعة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

(٣) البصير (عبد الرازق) : الترجمة من العربية وإليها . العربى (٣٠٧) ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م ؛ تعريب التعليم فى الجامعات . العربى (٣٢١) ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

الأردنى ، واستمع من رئيسه الدكتور عبد الكريم خليفة حديثاً يدعو إلى الحزن والألم .. يقول الدكتور خليفة : إن بعض أساتذة مادة الرياضيات فى جامعة إربد ترجموا الكتب المختصة فى هذه المادة المقررة على طلاب السنة الأولى ، وأخذوا يلقون منها دروسهم عليهم ، فكان نجاحهم باهراً لأن استيعابهم لهذه المادة كان قوياً جداً ، ولكن الغريب فى الأمر أن عميد تلك الكلية قد تغيّر وجيء بعميد آخر ، فأمر بأن تُلْغَى الكتب المترجمة إلى اللغة العربية ، وأن توضع مكانها كتب باللغة الإنجليزية ، ولا تَسَلْ عما حدث من ارتباك فى نفوس الطلاب ، وفى هذا دلالة على أن هناك مَنْ يسعى لإبعاد اللغة العربية عن التعليم الجامعى ، وهو أمر لا يجوز السكوت عنه .

أما فى تركيا فقد نجحت الأتاتوركية فى تحويل الحروف العربية التى تكتب بها اللغة التركية إلى اللغة اللاتينية ، ولكن هل أدى هذا إلى ما كان يرنو إليه كمال أتاتورك وأشياعه من نهوض وتقدم وتحضر ؟ الجواب : لا ، فالدولة لا تزال من الدول التابعة حضارياً للتكنولوجيا الغربية ، والذى حدث فقط هو إبعاد « اللغة » عن متناول الفرد ، وعجزه عن قراءة « القرآن الكريم » . إذاً فهى حملة تهدف إلى سلخ الفرد التركى من دينه وإبعاده عن دستور ربه بإبعاده عن لغة القرآن .

ويتأسف الدكتور الناعورى[1] على هؤلاء المتشددين فى محاربة اللغة العربية فى الجامعات العربية ، فقد استطاعوا حتى الآن أن يجمِّدوا العربية فى جامعاتهم ، ويمنحوا الحياة والازدهار للغات الأجنبية ، وهذا عكس ما يحدث فى جميع الأمم والشعوب التى تحرص على أن تكون السيادة للغاتها القومية دون سواها ، فى كل جانب من جوانب حياتها العلمية والعملية والإدارية والتقنية . وأكد الناعورى أن هذا التصرف إنما يُعدُّ مظهراً من مظاهر التخلف فى العالم العربى ، حتى فى أعلى مستويات الثقافة عندنا .

ويوضح عبد الوهاب عامر[2] أن اللغة فى كل عصر من العصور ، وفى كل أمة من الأمم ، مرآة تعكس الإحساس والشعور ، ودليل على التحضّر أو التأخر ، وأمارة على الجمود أو المرونة فى الناس ، فإن هى جمدت كان ذلك دليلاً على جمود أهلها ، وإن هى مرنت ولانت وواكبت التطور العلمى والتقنى كان ذلك دليلاً على أنهم مرنوا أولاً ولانوا وواكبوا التقدم العالمى والتطور التقنى .

(١) الناعورى (د / عيسى) : لماذا تتجمد لغتنا وتزدهر لغات الآخرين ؟! الدوحة (٩٩) ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

(٢) عامر (عبد الوهاب) :

لقد أدّى ادّعاء الذين بأيديهم الأمر وكبار أصحاب الأقلام والمراكز الإدارية والثقافية فى بعض البلاد العربية منذ سنين مضت وربما حتى الآن ، بأن اللغة العربية أصبحت لغة الشعر والأدب والتعبير عن خلجات النفس ، وليس لديها القدرة على مسايرة ركب الحضارة الحديثة وعلى استيعاب مصطلحاتها ، ومن هنا فلابد للطالب العربى أن يتلقى دروسه بلسان أجنبى ، وقد أدى هذا الاتجاه إلى تدهور اللغة العربية فى عقْر دارها . ولعلنا إذا فصَّلنا البحث فى الأسباب التى تكمن وراء الدعوة إلى التغريب واتهام اللغة العربية بالقصور ، نعرض لما يلى :

١ ـ يدَّعى دعاة التغريب فى بلادنا ، والحاقدون علينا من الأجانب ، أن لغتنا العربية قاصرة عن التعبير عن القضايا العلمية المتجددة وعن استيعاب مواليد الحضارة الحديثة لاسيما وأن مخاضها فى بلاد أجنبية غربية هى أو شرقية . ويدّعى دعاة التدريس باللغات الأجنبية فى البلاد العربية أنه من المستحيل متابعة ما يستجد عالمياً فى كافة مجالات العلم إلّا باللغة الإنجليزية أو ببعض اللغات الأوروبية الأخرى[1] ... ويشير هؤلاء إلى أن تطور العلوم والتقنيات السريع ، يتبعه طوفان بل انفجار فى حجم المصطلحات يتمثل فى ظهور نحو (٧٠٠٠) مصطلح تقنى جديد ، يستقر منها فى اللغة زهاء (٤٠٠٠) مصطلح ، وكذلك فإن حجم النشر العلمى الضخم من مراجع وكتب ودوريات ورسائل (أطروحات) يجعل من الصعب التعامل مع هذا الطوفان إذا اعتمدنا على القاعدة العلمية الضئيلة فى عالمنا العربى حالياً .

وإذا كان من الحاقدين من يطلق على اللغة العربية « لغة دينية » أو « لغة أدبية » ، وينفى عنها كونها « لغة علمية » ، فإننا نرد على هذه الفرية بكلام من حوار إعلامى للدكتور عبد الصبور شاهين أجرته معه مجلة الأمة فى أحد أعدادها ، يقول د / شاهين : الخطأ أولاً فى المصطلح ، فالذين يتعمدون استخدام « لغة الدين » و « لغة العلم » لا يفهمون المصطلحات ، لأن اللغة لغة ، تُستخدم فى كل الأهداف التعبيرية التى يريدها المتكلم ، سواء أكانت أهدافاً دينية أم أهدافاً علمية ، لا يختلف الأمر ...

ولكن الصواب أنْ يقال : الأسلوب الدينى والأسلوب العلمى ، ولكل أسلوب

---

(١) للمزيد من التفصيلات انظر المشكلات التى تواجه حركة التعريب المعاصرة فى عالمنا العربى والإسلامى ، فى الباب الرابع إن شاء الله .

طابعه الخاص ، وقواعده فيما يسمى « التركيب » . أما القول بـ « لغة الدين » فهى عبارة يقصد بها مستعملوها التعبير عمَّا يكنُّونه من عداوة للإسلام والعربية . ولسنا بحاجة إلى دليل على صلاحية اللغة العربية للتعبير عن العلوم ، فذلك هو الواقع ، ولكننا بحاجة إلى أن نبيّن موطن الالتباس فى القول بأن هنالك لغة دينية ولغة علمية ، فهذا (سخف) وإنما القول بأن هناك أسلوباً علمياً وأسلوباً دينياً هو الحق ، فطبيعة اللغة أو التراكيب اللغوية تتصل دائماً فى خواصها بخواص المعنى الذى تعبِّر عنه ، إن كان صارم الدلالة ، مجدداً تماماً ، أو كان بمعنىً يتدخل فيه ما يسمَّى بالمجاز أو الاستعارة .. فاللفظ فى المجال الأدبى والإنسانى يقوم على الغموض أحياناً ، وعلى الوضوح أحياناً ، ويؤخذ الغموض فيما يُسمَّى « وسائل التعبير » : التشبيه ، الاستعارة ، الكناية ، وما إلى ذلك[1] .

أما الأسلوب العلمى فهو شىء مختلف ، فلا يقرؤه كل الناس ، بل يقرؤه العلماء ، ويستطيع أى عالِم أن يعرف ما بعقل أى عالِم آخر عندما يقرأ معادلاته وتراكيبه وأفكاره العلمية بدقة شديدة جداً ، كما يتجنب الأسلوب العلمى ما يُسمَّى المجاز أو الاستعارة أو الكناية .

٢ ـ كذلك يدَّعى هؤلاء عدم مواءمة رسوم حروف العربية الهجائية للحياة الحديثة .

٣ ـ ويدَّعون أيضاً جمود اللفظ فى معناه .

٤ ـ كذلك كانت الدعوة إلى اللهجات العامية وإنشاء لغات محلية منها ، من أهم أسباب تدهور اللغة العربية ، وقد أشرنا فيما سبق لهذه الدعوة المشئومة .

٥ ـ ولعل خضوع البلاد العربية والإسلامية للحكم الأجنبى عنها ، كان سبباً قوياً فى انصراف أبناء العربية عن استخدام لغتهم فى الكليات العلمية خاصة وفى التعليم عامة . يقرر الأستاذ عبد الرازق البصير[2] أن خضوع الأمة العربية تحت ظل حكم أجنبى ، أدى إلى ضعف وَعْيها إلى درجة أصبحت لا تقدر ما يعنيه ضعف لغتها من أثر على

---

(١) شاهين (د / عبد الصبور) : قدرة العربية على استيعاب علوم العصر . (حوار) الأمة (٥٢) ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

(٢) البصير (عبد الرازق) : مرجع سابق .

وجودها ، فلما جاء الاستعمار الأوروبى زاد فى تعميق هذا الداء فى نفوس الكثيرين ، لأنه يدرك أن أهم عناصر قوة الأمة وعزتها يأتى من قوة لغتها . وقوة اللغة تنشأ من ترجمة العلوم إليها وتعليم أبنائها بها ، لأن ذلك يخلق فى الأمة اعتزازاً بلغتها ، فإنه إذا لم يتأكد فى نفوس أبناء الأمة أن لغتهم قادرة على استيعاب ما يجدّ فى الحياة انهدمت أو ضعفت على الأقل ثقتهم بلغتهم ، مما تجعلهم ينصرفون إلى غيرها من اللغات الأجنبية . ويؤكد الأستاذ البصير أن أمة يصل حالها إلى هذه الدرجة يصبح شأنها ضعيفاً ، مما يجعلها هدفاً للغزو الثقافى .

٦ ـ كذلك فإن ندرة الكتب العلمية المكتوبة باللغة العربية يعتبر سبباً يرتكز عليه الخائفون من التعريب ، ويبررون به استمرارهم فى التدريس بلغات أجنبية . ولكن إذا كانت الكتب العلمية العربية الحديثة حقيقةً قليلة ، فهل قام هؤلاء الخوافون بالتصدى للمشكلة فانبروا يترجمون وينقلون العلوم المختلفة من لغاتها الأجنبية إلى اللغة العربية ؟! إنهم إن شاركوا فى هذا العمل القومى الخطير يريحوا أنفسهم ويبعدوا الخوف عنهم ويثروا أمتهم ويعينوها فى صحوتها العلمية التى هى بصدد الإعداد لها الآن .

وإن من الأسباب الأخرى وراء قلة الكتب العلمية والمراجع المعرَّبة أو المؤلَّفة باللغة العربية فى مجالات العلوم المختلفة هو غيبة الحافز الذى يدفع إلى ذلك ، ومردّ هذا أيضاً إلى الأزمة التى تمر بها حركة الترجمة بوجه عام فى وقتنا الحاضر .

هناك عدة أسباب أخرى ـ إضافة إلى ما شرحناها ـ عرضها الدكتور مصطفى شعبان [1] فى تعقيب له على مقال فى اللغة العربية بعنوان (مَنْ قتل اللغة العربية ؟) ، وجاء فيه من الأسباب التى أدَّت إلى تدهور اللغة العربية حتى أضْحت مشكلة عندنا :

(أ) **فكرة التعليم الكمىّ لا الكيفىّ** : خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية . هذه الظاهرة أدت إلى خلق جيل من أنصاف المتعلمين يعلِّم جيلاً من الجهلاء .. وينطبق هذا التحليل بصورة خاصة على اللغة العربية وخريجى مدارسها .

(ب) **الاستهتار باللغة** : واعتبار العلم بها عيباً والعالم بها متخلفاً لا يجوز الاهتمام به .

---

(١) شعبان (د / مصطفى إبراهيم) : مَنْ قتل اللغة العربية ؟ العربى (٣٢١) ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

(جـ) الإلحاح الدائم من وسائل الإعلام اليومية على استخدام لغة عربية معينة ، فى ألفاظها وقواعدها . والمطابع والإذاعات تمضغ هذا الكلام وتبثه على أسماع الناس وأبصارهم كل لحظة ، حتى أصبح العامة يحسبون هذه الغثاثة هى السليم ، وإن ما غيرها (كتباً صفراء) لا يجوز لعاقل متحضر أن يقرأها .

(د) أصبح يسيطر على وسائل الإعلام جيل ممن يجهل اللغة العربية ، وبالتالى فلسان حالهم يقول للمشاهد وللمستمع إن العربية الحقة لغة عيِّية قديمة لا تصلح للحضارة والتقدم والنماء الحديث .

ويعبّر شاعر النيل حافظ إبراهيم على لسان اللغة التى تشتكى حالها فتقول :

أرى كلَّ يوم بالجرائد مَزْلَقاً ... من القبر يُدنيني بغير أناةِ
وأسمعُ للكُتَّاب فى مصر ضجَّةً ... فأعلمُ أن الصائحين نُعــاتى

ونضيف إلى هذه الأسباب سبباً آخر هو أن الغيورين على اللغة العربية لم يقدّموا لرجال العلوم وأساتذة التكنولوجيا ما يشبع رغبتهم وبسرعة تجرى مع معدل ما تقذف به ثورة الاكتشافات وما تأتى به الاختراعات وما تتناقله وسائل الإعلام وسبل الاتصالات من منتوجات التطور المعاصر السريع فى عالم التكنولوجيا ـ أقصد منتوجات أو مستجدات لفظية ومصطلحات علمية ـ فأعمال هؤلاء الغيورين على العربية (حينما تكون لهم أعمال مرموقة) لا تزال تحبو فى بُطء وتكبّل حركتها فى كثير من الأحيان قيود الروتين فى المجامع والهيئات المعنية فى كثير من الدول العربية ، حتى لا يُسْمَع بما انتهى إليه هؤلاء الرجال ، وإن سُمع ففى سرعة لا تتوافق وسرعة الاختراعات ومسايرة التقدم المدهش حالياً[1] .

لقد ناقش الدكتور ناول عبد الهادى فى بحث قيم له جوانب فى الموضوع ، منها مثلاً محاربة الاستعمار الغربى للغة العربية ، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، وقد حصر أسباب ذلك فيما يلى :

---

(١) سوف نوضح جملةً من العقبات والمشكلات التى تواجه حركة التعريب المعاصرة فى باب خاص بذلك إن شاء الله .

• ***محاولة القضاء على الدين الإسلامى*** ، لأن اللغة العربية مفتاح التفقه فى الدين ، ولعلهم تنبّهوا إلى ما كتبه أبو منصور الثعالبى فى مقدمة كتابه « فقه اللغة العربية » : من أحب الله تعالى أحب رسوله ﷺ ، ومن أحب الرسول العربى أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية .

ويقول الدكتور عثمان أمين فى كتابه « فلسفة اللغة العربية » : إن اللغة العربية لغة القرآن ، والقرآن لا سبيل إلى ترجمته ترجمة صحيحة إلى أية لغة أجنبية ، والقيام بترجمة القرآن يكاد يكون جزءاً من مخطط لهدم الدين الإسلامى من أساسه ، وسوف نفصل فى هذه المسألة بشيء أكثر فى أحد الفصول القادمة .

• ***تقويض وحدة العرب*** ، وتفتيت القومية العربية ، التى من أهم دعائمها اللغة العربية ، ومن المعلوم أن القضاء على اللغة العربية هو تفتيت للقومية العربية ومسخ للشخصية العربية .

وفى البحث نفسه عرض الدكتور ناول عبد الهادى لبعض وسائل الاستعمار الغربى من أجل القضاء على اللغة العربية ، وتتلخص فى :

١ ـ فرض المستعمر لغته على أهل البلاد المستعمَرة ، ونشرها بشتى وسائل الترهيب والترغيب ، سواء فى المدارس أو المصالح أو الشركات أو الهيئات .

٢ ـ بث العملاء فى البلدان العربية للدعوة بالقلم واللسان إلى العناية باللغات العامية واللهجات الإقليمية ، وقد أشرنا إلى طرف من هذه المسألة فى الصفحات السابقة .

٣ ـ التشكيك فى مدى قدرة العربية على استيعاب الحضارة الحديثة : (أ) إما لأنها غير محدودة الألفاظ وغير قابلة للتطور ، (ب) وإما لأنها عامرة بألفاظ الصحراء لما تعدّاه الزمن ، (جـ) وإما لأنها عسيرة فى كتابتها أو استيعاب قواعدها النحوية الصرفية .. إلى غير ذلك مما وجد له صدى قوياً عند كثير من أدباء العرب ، وكتّابهم ، فمنهم من نادى بكتابتها (أى العربية) بالحروف اللاتينية ، كما نادى البعض بتسكين أواخر الكلمات وإلغاء النحو ، وفى كل هذه الدعوات خدمة للاستعمار وهدم للغة العربية .

وإنه لمن الواضح لدى كل غيور أن ما حدث للغة اللاتينية لا يمكن حدوثه فى اللغة العربية ، لاختلاف النسبة بين اللغتين ، فالتحول عن اللاتينية إلى الفرنسية لا يقارن

بالتحول من الفصحى إلى العامية التى نادى بها القاضى الإنجليزى ويلمور فى أول القرن العشرين الميلادى .

ويذكر الدكتور سامى عون[1] أن فرح أنطون حينما ناقش كتاب القاضى ويلمور اقترح شكلاً لِلُغة عربية جديدة تتحقق فيها شروط البلاغة والفصاحة ، لكنها مبْنيَّة على « الفهم » ، إنها لغة وسط بين اللغة الفصحى القديمة التى لا يفهمها العامة والخاصة ـ فى نظره هو ـ معاً وبين العامية . وهى بالتحديد « لغة المجلات والجرائد » التى يحسن اختيار ألفاظها وأساليبها ويتقى الخطأ فيها .

ويرى فرح أنطون أن هذا الإصلاح ممكن ومقبول ، لأن العجز إنما هو فى نفوس أهل اللغة لا فى أساليب اللغة نفسها ، فاللغة ترتقى بارتقاء المجتمع ، وتجمد بتأخره .

(١) عون (د / سامى) : اللغة والنهوض العلمى . آفاق علمية ١٥ (١٣) ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .